

**سفيير برهوم لـ«الوطن»: الأمور الواقعية حقيقة...
ولن يتفاعل الجمهور معنا إلا بحديثنا عن فمومه**



فاطمہ ۶۰۱

على حين بين الفنان فادي حموي أن دوره يجسد معاناة الشباب الجامعي في الحصول على فرصه عمل، وكيف أن متطلبات الحياة تجرهم على مزاولة أعمال غير المستوى المطلوب علمياً ومهنياً وحتى مادياً، هذا عدا عما يتعرض له الشباب في الجانب العاطفي وعلى التحديد عندما يقرر الزواج، عندما يصطدم بالعادات والتقاليد، ومسألة الاختلاف الديني، ما يمنع الشاب (سعید) من الارتباط بحب حياته، ابنة قريته التي تربى معها، متابعاً: «إن مسرحية (حياتكم الباقة) تقدم للجمهور حياتنا بكل بساطة وشفافية، بمعنى أنها تطرق إلى الواقع بمرارته وقوسته حتى من دون أن يتم تجسيمه، من خلال الأحداث التي تحيط بالشخصيات». وعن إقبال الجمهور على العروض المسرحية لفت حموي « علينا ألا نقول إن المسرح ليس له متتابوه، فمن خلال تجربتي أؤكد أنه رغم كل الظروف التي قيّدتنا وأحببتنا، فإن الجمهور يقى وفيا للمسرح، إذا مرّط الفرس هنا وهو النوعية المقدمة له، فكلما كان العرض قوياً، استطاع أن يستقطب أكبر شريحة ممكنة، وبالتالي يجب ألا تستخف بأهواه، فإذا قررت أن نضحك مثلًا فعلينا ألا نقدم له التهريج وال奚ا، ولكن هذا لا يمنع من أن نقر بالحقيقة ونعرف بأن مسرحتنا مبنية تأسيسه هو مسرح مظلوم، على الرغم من أن خسبته - بالنسبة لي - مقدسة ومتمنى الفنان شعوراً لا يمكن وصفه، إلا أنه في النهاية المادية هو فقير جداً من الناحية المعيشية والأجور، وبصدق كثير أنا أرى أن الدعم المسرحي غير مجد مقارنة بفروع أخرى تنتطوي تحت لواء وزارة الثقافة، والدليل على كلامي أنه لا يوجد في دمشق على حين بين الفنان سليمان قطان أنه يجسد في العرض دورين، الأول لشخصية شرطي، والثاني لشخصية شيخ، ولا تخلو الشخصيتان من إثارة غريبًا عن تشخيص دوري في العرض، بل بصراحة سليمان قطان على القاسم هو أمر مخجل ومعيب».

علي القاسم

بدوره حدثنا الفنان علي القاسم عن دوره في المسرحية، لافتًا إلى التعاون المرن والقائم على تبادل الأفكار الذي جمعهم مع المخرجة برهوم، ليقول: «على الرغم من أننا تقوم بتشخيص الحالات على المسرح، إلا أننا كبشر عاديين، فنحن نعيش هذه الحالات بكل تفاصيلها، بمعنى أنق، أنا لا أجد نفسي بالحياة، بمعنى أنه إذا فصلنا العناية عن المناسبة، سليمان قطان على القاسم هو أمر مخجل ومعيب».

سليمان قطان

على حين بين الفنان سليمان قطان أنه يجسد في العرض دورين، الأول لشخصية شرطي، والثاني لشخصية شيخ، ولا تخلو الشخصيتان من إثارة غريبًا عن تشخيص دوري في العرض، بل بصراحة متوافقة، إلا أنني أتفق من أن يبقى المسلط المسرحي فاعلاً بشكل دائم، علماً أن الحركة التقافية لم تتوقف، فهو متتابع له بكل نشاطاته سواء أكانت موجهة للأطفال أم الكبار، ولكن هذا أمر يسجل لوزارة الثقافة وكل ما حدث، وهذا أمر يسجل لوزارة الثقافة عبر نشاطاتها على كل الصعد، وحتى في الوقت الحالي نلاحظ أن المهرجانات المتنوعة هي متتالية وذاهبة نحو المزيد».

وعن دوره في (حياتكم الباقة) يقول: «أنا أجسد شخصية المختار، وهو رجل متقدم في السن ويعاني هو ومن حوله - من نقص في سمعه، عبر الضغوطات التي في داخله لأنه منبوز من زوجته ومحيطه بسبب سمعه، إلا أنه من معاناته يثير مواقف كوميدية، والمسرح لا يتحقق أو ينجح، إلا بتحقيق شرط هذه العلاقة، فمن هنا - وعن قناعة تامة - ما اختاره من مواضيع يجبر أن يكون له علاقة بحياة الناس واحتياجاتهم، ولأنني أختار مواضيع من صميم الواقع، فاي متفرج يجد خلال العرض أمراً يلمسه بشكل شخصي. في النهاية أنا أحب أن أجسد الأمور الواقعية، تكونها حقيقة جداً، ولن يكون هناك تفاعل مع الجمهور وننجح في عروضنا المقدمة، إلا عندما نتحقق المعادلة بأن يكون العرض من صلب هم الشارع السوري».

سهيـر بـرهـوم

بداية اطلقت حديثنا مع مخرجة العمل من عنوانه (حياتكم الباقة) مشيرة إلى أن هناك العديد من العبارات التي نزددها ربطاً بمناسبة ما - تماماً مثل عنوان المسرحية - وعبارة (حياتكم الباقة) التي تقولها في العزاء، فيها من الأمل وضرورة التمسك بالحياة، بمعنى أنه إذا فصلنا العناية عن المناسبة، متكاملة بكل العناصر ابتداء من الديكور إلى الإضاءة، إلى الانسيابية في افتتاحية المشاهد التي تقدم بمقطع موسيقية لأغان معروفة، بهدف إضفاء جو طريف، مع الابتعاد عن كلاسيكية العرض المسرحي، هذا عدا المواقف الإنسانية المحرّزة التي أثبتت بأغان - من كلمات وغناء عهد أبو حمدان، ومشاركة غناء ديمه زين الدين - تثير الانفعال المطلوب في النفس.

إذاً، (حياتكم الباقة) عرض يتوجه نحو الكوميديا السوداء، وهو من تأليف وإخراج سهير برهوم، وتمثل: موفق الأحمد، ناصر الشبلي، جمال نصار، علي القاسم، فادي حموي، تماضر غانم، رشا الرزги، جوري يوسف، سليمان قطان، روند فياض، إيمان عودة، والطفلين شادي جان وغسان رحال.

هل نحن مجتمع يمتلك تاريخاً كي نفاخر به؟ ألا يجب أن نعرف التاريخ أولاً، هذا التاريخ الذي يقوم من الإبداع والإنجاز الصناعي والزراعي والسياحي، وأهمه الثقافي الدال على تفوقة، أم إننا اكتفينا بالتاريخ الديني، وجعلناه نبراساً لم نقدر على الخروج منه حتى اللحظة؟ بل أكثر من ذلك ندعى التطور المskون في داخلنا، ماض جله عقيم، لم يدع له أي تأثير في حركة المجتمعات المتقدمة أو الباحثة عن التطور.

إن أي نهضة تقوم بها النדרة المبدعة مسلّم أن يشعر بها المجتمع، فيأخذ بالاندفاع عقوياً لتأييدها والتفاعل معها بقوه وإيمان، وخاصة إن رافقها تفعيل ثقافي وسياسي، حيث يتكون مثلاً استثنائي يعن طاقات مهمه، تؤكّد تماسكة، وتمتن وحدته وقيمه، لا شك أن أي مجتمع يجاهد أثناء مسيرته العديدة من المشكلات، وتكون متتابعة، وتفرض عليه إيجاد الحلول لها، لأن أي تدخل يعني تفاقم المشكلات بحكم اختلاف الثقافات والسياسات، وكل مشكلة تعتبر تحدياً ذاتياً، ليس فقط للمؤسّولين عنه، وإنما على أفراده أيضاً، وهذه المشكلات أيضاً تؤدي إلى ظهور تمايز بين أفراده بحسب؛ أي يسقط البعض وينجح الآخر.

هل يمكننا أن نسلم جدلاً بأن انهيار مجتمع يكون لأجل الانهيار، أو أنه نتيجة طبيعية لحجم الخطأ، بحيث يكون أن لا مفر منه، وهل المشكلات تقوم بذاتها، أم إن الفروف التي تظهر العطالة الفكرية تؤدي إلى حدوثها؟ لأن وصول أي مجتمع إلى تبادل الخطاب الشفهي لا بد أنه آيل للآخر انتاج رزوحه تحت عبئ الثقل، الذي يدعو للارتفاع، أو للارتفاع، أو للارتفاع في بوتقه والسيطرة عليها وعلى المشتغلين بها، هذان الاسلوبان لم ينفع أي مجتمع، إنما أدبنا إلى إحباط أي نهضة، وقتل محاولات الإبداع وتجميد أي إصلاح ديني أو سياسي أو اقتصادي، بل على العكس، أخذنا بتعزيز دور البطولات الفردية المعرّزة بدنياً لا اجتماعية، وفؤياً لا كلياً.

Digitized by srujanika@gmail.com

وأخيراً في حديتها مع المذيعة والممثلة جوري يوسف أشارت إلى أن العرض (حياتكم الباقية) فيه الكثير من الإسقاطات على واقعنا، وكيف أن الأزمة دفعت الكثرين إلى الاستغلال، متمسكين بالجشع والزيف لبلوغ أهدافهم ومطامعهم ومتظاهريين برحمة ورأفتهم بالإنسانية، عبر شخصيتها التي تقدمها (السيدة الآنسقة)، معتبرة أن المسرح حياة ونحن كأشخاص جزء لا يتجزأ منه، وتضييف «صحبي أن الإعلام سرقني من التمثيل مدة طويلة وهي أكثر من عشر سنوات، إلا أنتي أبقي الممثلة أبنة المسرح، فانطلقتني وبديابتي كانت من هنا، هذا كما أنه لا يمكنني أن أستغنى أبداً عن العيون التي ترقبني هنا وأنا واقفة على خشبة المسرح، هذه العيون تستهويوني جداً عندما تلاحقني، وتحث عن تعابيري من خلال مشاعري وما يدور في ذهني من أفكار، وكيف ترقبني منتظرة كي أبوح بصوتي لأغير عن كل حالاتي، حتى إنها تلاحقني في حركتي، فهذه حرية كبيرة، وربما الحياة لا تمنحنا إياها، لهذا عندما يأتيني عرض مسرحي وعندما أجده أنتي فيه سأستمع بحرية المرح على الخشبة، لن أتردد أبداً، حتى إن وجودي في الدراما سيكون أكثر من قبل، وبالبداية في الموسم الرمضاني القادم من خلال مسلسل تماضر غانم على حين حدثتنا الفنانة تماضر غانم عن دورها، لكونها تجسد شخصية المرأة (الكهنة) التي ترفض قبول عريس ابنته بحجة الاختلاف الديني، على الرغم من أنه تربطها بأهل الشاب علاقة وطيدة، وتقول «بداية أحب أنأشير إلى المعاناة التي تعرضنا لها أثناء البروفات، بسبب تظاهرة المسرح التي استمرت عشرة أيام، ما انعكس على مواعيد كل من مسرح القباني ومسرح الحمراء، ولم نجد مكاناً للتدريب، الأمر الذي دفعنا للذهاب إلى المراكز الثقافية كي تقوم بالبروفات، حتى إن البروفا في النهاية كانت أصعب، وللأسف لم يتم إلغاؤها، مما أدى إلى إلغاء العرض».

ناصر الشلي

على حين حدثتنا الفنانة تماضر غانم عن دورها، لكونها تجسد شخصية المرأة (الكهنة) التي ترفض قبول عريس ابنته بحجة الاختلاف الديني، على الرغم من أنه تربطها بأهل الشاب علاقة وطيدة، وتقول «بداية أحب أنأشير إلى المعاناة التي تعرضنا لها أثناء البروفات، بسبب تظاهرة المسرح التي استمرت عشرة أيام، ما انعكس على مواعيد كل من مسرح القباني ومسرح الحمراء، ولم نجد مكاناً للتدريب، الأمر الذي دفعنا للذهاب إلى المراكز الثقافية كي تقوم بالبروفات، حتى إن البروفا في النهاية كانت أصعب، وللأسف لم يتم إلغاؤها، مما أدى إلى إلغاء العرض».

وأختيار(برهوم) للفنانين، وعن الصعوبات التي واجهتهم لكون رمضان الشهرفضيل على الأبواب، الأمر الذي تطلب سرعة في البروفات والتدريبات. تتبع: «أشكر كلًا من مديرية المسارح والموسقيا، وفريق عمل المسرحية من ممثلين وفنين، على الجهد البدوله لإنجاز المسرحية وفق زمن محدد يحتمنا، ما اضطرنا لتقليل عدد البروفات بما هو معتاد، كي يتم تقديم العرض قبل قدم شهر رمضان المبارك. هذا وكما أن من أتعامل معهم هم ممثلون محترفون، ولهم باع طويل بالعمل المسرحي ولديهم تراكم خبرات ولم يغادروا المسرح يوماً، كما أن العمل المسرحي هو عمل جماعي، وبالتالي تقوم بمناقشة التفاصيل، وأنا استعن بوجهات النظر، بالنهاية كي نصل جميعاً للصيغة المطلوبة». وعن الجمهور الذي يتتابع العروض المسرحية تابع مخرجة كل من الأعمال (أما بعد) و (ليلة الوداع): «في عرض مسرحية (أما بعد) كان هناك جمهور- رغم الظرف- وتأثر بالحالة وبموضوع العرض، ولكن ليس كالجمهور الذي يأتي إلى مسرح الحمراء ليتابع في الفترة الحالية عرض (حياتكم الباقية)، وهذا أشير إلى الظرف لكونها في فترة من الفترات كانت حاكمة ومقيدة للكثير من نشاطاتها، ولكن الجمهور مع كل عرض من العروض المسرحية التي أقدمها يكبر، وهذا أمر أنا أطمح إليه، أكمله وأنهي، لأن القوى التي تنشئنا من خلفها

علينا ألا نقدم التهريج السخيف لأن الحمهور يستحق أن نضدكه بعمق وألا نستخف بفكاره



وحدة المجتمع

ينادي بها، ويعطى شأنها لحظة الشعور بأنَّ انهياراً ما قرِيب حدوثه أو حاصل، وأنَّ تفككه إن لم ينته له ناجز، وهذا يصل إلى نتاج أسلوب حمة، أهمها تهور الطاقة الإبداعية في الأقلية المبدعة، وتقوّع النخب المديرة له على نفسها وانفصالتها عنه، ويتطور التشرذم بعد إصابة هذه الندرة بالعقل الفكري والقصور في إبداع الحلول، وتحول هؤلاء القلة إلى قوة مسيطرة على المجتمع، الذي يرد عليها بعوله عن الولاء لها والإبعاد عن السير وراءها، ليتلو هذا تتضاعف العلاقة بين الندرة والكثرة، وتسرُب الإشاعة وانتشارها من دون الرد الفاعل عليها، ومن ثم إحداث الشروخ والسقوط فيها.

وكما طالقة مياغة طالة، فنَّدَنَاها الاحيائية، وتنَّدَنَّناها من أنسس تصار

وحلّ حافه مبلغه لتحقق توقعها الإيجابية، وبقيتها من أسس انتصاراتها لتأدية رسالتها في المجتمع، الذي تتولى الإشراف عليه وقيادته بشكل يليق بأفرادها تنتج، وإذا عجزت عن إنجاز رسالتها، وأصررت على استخدام النظم البالية القائمة على الضغط ثم الضغط، فمؤكّد حدوث الانفلات، وقد أثبتت التجارب إخفاق وضرر هذه الأساليب، التي يستتبعها تفكك المجتمعات ونظمها، ويجب لا يرد أي انهيار في المجتمع إلى فعل القضاء والقدر، والألا تحمل سلطات الطبيعة العنيفة أحياناً السبب، وأن تزعزعه بعدم القدرة في السيطرة على البيئة، طبيعية كانت أم بشرية، وأيضاً أن نرمي به على الاعتداءات المحيطة، أو على دخلاء من ضمن البيئة، فقبولنا لهذه التفسيرات يعني أننا غير قادرین على إبداع الحلول، وأننا مجتمع يدعى الإله لحماية،

العدد ٣٤٥ السنة الثالثة عشرة | ١٤٢٠ | رمضان ٣ | المائة | من دون أن يقوم بأي فعل إبداعي، يحميه ويحمي مقوماته.

كلما تنوّع المجتمع احتاج إلى الوحدة التي تتماثل مع المجال الطبيعي، الذي لا يظهر إلا بتنوّع المشهد، ويتوافق تماماً مع وحدة الوجود المسكنة في وحدة الشهود، أي الخالق مع المخلوقات، وصيغة الأب مع ابنه، والروح القدس، التي تتنقل إلى شكل الأسرة المتحدة والحياة ومقتضياتها، لنرى من خلالها أن فعل الارتفاع لا يصدر من المجموع، وإنما من شخصيات تحمل سمة التّنيرة المبدعة، كما أن إدراك الله يكون في نهاية المأساة، التي لا تحمله إليها من لحظة بدئها، كما أن الندم بأبعاده الخيرة والشريرة ليس مطلقاً، ولا ينبغي أن نندم بعد وقوع الشيء، بل يجب أن تكون البداية الجديدة فعالة إلى حد كبير، وفكرة الحرب السائدة بأنها السبب الرئيس لانهيار المجتمعات، تكون صحيحة إذا كان المجتمع مع مبدعيه والقائمين عليه في حالة سبات وعدم انتباه وانشغال إداراته بما تجنيه، بعد أن تكون قد وصلت إلى نظرية الإقطاع الحديث، الذي يعتمد تراكم المال والسيطرة به على المجتمع، بعد أن كان أسلوب الإقطاع القديم تراكم الأرضي والسيطرة عليها وعلى المشغلين بها، هذان الأسلوبان لم ينفعاً أبداً في إبطاء أي نهضة، وقتل محاولات أي مجتمع، إنما أبداً إلى إبطاء أي نهضة، وقتل اقتصادي، بل الإبداع وتجميد أي إصلاح ديني أو سياسي أو اقتصادي، بل على العكس، أخذنا بتعزيز دور البطولات الفردية المعززة دينياً لا اجتماعياً، وفقرياً لا كلياً.

هل نحن مجتمع يمتلك تاريخاً كي نفاخر به؟ لا يجب أن نعرف التاريخ أولاً؛ هذا التاريخ الذي يقوم من الإبداع والإنجاز الصناعي والزراعي والسياسي، وأهمه الثقافى الداى على تقوّه، أم إننا الكفيفين بال بتاريخ الدينى، وجعلناه نبراساً لم نقدر على الخروج منه حتى اللحظة؟ بل أكثر من ذلك ندعى التطور المسكن في داخلنا، ماض جله عقيم، لم يعد له أي تأثير في حركة المجتمعات المتقدمة أم الراجحة عن التطور.

إن أي هنّة تقوم بها النّدرة المبدعة مسلّم أنّ يشعر بها المجتمع، فيأخذ بالاندفاف عفوياً لتأييدها والتفاعل معها بقوّة وإيمان، وخاصة إن رافقها تغيل ثقافي وسياسي، حيث يكون مثلث استثنائي يمثّل طاقات مهمّة، توقد تماسكه، وتمتن وحدته وقيمه، لا شكّ أنّ أي مجتمع يجاهه أثناء مسيرته العديد من المشكلات، وتكون متابعة، وتفرض عليه إيجاد الحلول لها، لأنّ أي تدخل يعني تفاقم المشكلات بحكم اختلاف الثقافات والسياسات، وكل مشكلة تعتبر تحدياً ذاتياً، ليس فقط للمسؤولين عنه، وإنما على أفراده أيضاً، وهذه المشكلات أيضاً تؤدي إلى ظهور تمييز بين أفراده بنسب؛ أي يسقط البعض وينجح الآخر.

هل يمكننا أن نسلم جدلاً بأن انهيار مجتمع يكون لأجل الانهيار، أو أنه نتيجة طبيعة لحجم الخطية، بحيث يكون أن لا مفر منه، وهل المشكلات تقوم بذاتها، أم إن الظروف التي تظهر العطالة الفكرية تؤدي إلى حشوتها؟ لأنّ وصول أي مجتمع إلى تبادل الخطاب الخشبي لا بدّ أنه آيل للاختراق نتاج رزوه تحت عبئه الثقيل، الذي يدعو للارتحال، أو للقتل، أو للانهاء في بوتقة التخلف، لأنّ فقد أي مجتمع لمعاني وجوده، يعني فقده للأشياء التي تدعوه للتعلم، وسوء الأشياء غير القابلة للتّعلم، وتحطيم حالة السبات والركود والرّضوخ يكون بإعادة بعث المعنيّات التي تتحثّ على النهوّض من جوهره، والإرادة السياسية التي يقع على عاتقها تحفيز هذه المعنيّات، وتوفير المناخ الملائم لقيامتها وربط أفرادهم ببعضهم، وصولاً إلى تحقيق حالات انفعالية وجاذبية، تحدث عند الإنسان عندما يجد إنساناً آخر متأثراً، فيشعر بذلك شعوره، فإذا حصل انتظمت مشاعر المسلمين، وشكّلت خططاً واحداً إلى حيش السياسة تدلّ أنّ مؤامرة

إن فقدان الحرية الروحية والحرية السياسية يؤدي إلى قتل الثقافة والرابطة الموحدة في أي مجتمع، لذا أعود على بعده، وأقول: إن قوة الندرة تكون كارثية، إن لم توزع قواها بين أبناء مجتمعها، فإذا فعلت فإنها تكون قد حولت إقطاعها المالي إلى اقتصاد اجتماعي خلائق، يؤدي إلى قوة الدولة التي تستند في النتيجة إلى قوة أبنائهما مجتمعين، لا على أفرادها الضيقين.

من الممكن تناصي الحقيقة لبعض الوقت، لأن الظروف التي تعقب أي حرب تكون مندفعة عاطفياً، نتاج التأثر بمخرجات الحرب التي تظهر العديد من الأزمات، إلا أن الواقع مع الضرورة يعيّد ان هؤلاء الأبناء إلى مجتمعهم الأساس، الذي يفخرون به وبأرضهم التي يحيون عليها، فإذا القتلت السياسة هذا الحال، وعملت بجد عليه، بعثت في أفكارهم السمو، وحفزت الأخلاق التي بها وحدتها يتم تجاوز أي خلل، وإنهاء أكبر الأزمات، لأن بعض السطحيين يعمقون الخلل نتاج اتجارهم وتراثهم ضمن مجريات الحرب، هؤلاء الذين يعادون سرعة الإثارة، ينشدون استمرار الأزمات، أو يحاولون إطالة أمدتها، هنا يضج المجتمع، فإن لم تكن المعالجات صادقة وسريعة حدث التراجعات، ليظهر من جديد الحضور الطائفي والمذهبي والقبلي والعشائرى، ما يؤدي إلى الانقسام والفرقة والاقتتال على التاريخ والحاضر

كما تختلف المجتمعات وأفقرت، نبت فكرة الانقسام الموعودة في عمق التاريخ وتداعياته، فالعلم والإبداع والغورة الاقتصادية تنتج الجمع الذي يتقوى به، ونذرته تؤدي إلى أن تتناهيه الأفكار، وخاصة السيدة منها، لذلك أحذني أقول: إن انهيار أي مجتمع أعزوه إلى مجموعة أسباب سلبية، فانهيارها لا يكون بسبب فعل القضاء والقدر بالمعنى الذي ينشده رجال الدين، ولا يمكن اعتباره المسار الطبيعي لبعث الحياة، ولا بعد القراءة للسيطرة على البيئة الاجتماعية، ولا بالعدوان الغادر، إنما أعزوه إلى الانفلات الأخلاقي مع انفلات سلطة القانون الضابط لها، فأي مجتمع ينشد الاستقرار يجب أن يسعى لتحقيق أكبر قدر منه، وهذا لا يتحقق إلا بعد تجاوزه للمشكلات التي لن يحل جميعها، لكن حل بعضها يحقق له الانتصار المؤكد، ومن خالله تظهر وحدة المجتمع وتعاضده.

طعمة نبیل